

من سلك طريقا
يلتمس فيه

علمًا

أ. أناهيد السميري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يَنْتَفَعُ بِهِ)

<http://tafaregdroos.blogspot.com> /!#

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.
- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

<http://www.muslimat.net>

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله.. والله الموفق لما يحب ويرضى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ألقي في مكة أول السنة الجديدة، يوم الإثنين ٢٨/١٠/١٤٣٢هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أسأله سبحانه وتعالى بمنه وكرمه كما يستر الاجتماع، أن يجعل الإخلاص نصيبنا، وأن نكون ممن اجتمع من أجله سبحانه وتعالى،
خرج من منزله سالكاً طريق العلم، يريد وجهه فتحقّه الملائكة، ويذكره الله عز وجل فيمن عنده.

إن شاء الله لقاءنا حول قوله صلى الله عليه وسلم **((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا))**

سيكون في مسائل حول هذا الحديث الشريف، ونتكلم عن العلم وطلبه، وماذا يحتاج طالب العلم من جهة قلبه ومن
جهة مسلكه؛ فطلب العلم عبادة وقربة إلى الله وليس عمل تمارسه من أجل مصلحة دنيوية.

وربما يحسن بنا أن نحدّركم قبل أن نرغبكم، نحدركم من أن هذا الطريق سالكه إذا أراد به غير وجه الله خذل، وكان سلوكه لهذا
الطريق سبباً لفساد حياته!

فقد ورد في الحديث أن أول ما تسعر النار بثلاثة ومنهم قارئ القرآن^١، وفي رواية طالب العلم (العالم) ماذا فعل؟ قرأ القرآن حتى
يقال عنه أنه قارئ، طلب العلم ليقال عنه عالم، شخص يطلب العلم ويحصل شهادات ويرصع منزله بالشهادات، أو يعمل ملفاً
تعريفياً بذاته ويقول أنا حضرت كذا و حضرت كذا و حضرت كذا.. فكل تفكيره السيرة الذاتية، وتجذ السيرة الذاتية التي من ثلاث
صفحات لا تأتي في ميزان الحسنات ولا شيء، إنما كلها في ميزان السيئات!

فهذه اللوثة التي أصابت الناس اليوم أثقلت على الطلب، فلما تريد أن تصدق وتريد أن تكون طالب علم تجذ نفسك مضطهداً،
كل الناس يلومونك، أول شيء يسألونك : هذا المكان الذي تذهب له شهادته معترف بها أم لا؟ هو عند من معترف بها؟ أنا
أريد آخذ الشهادة لماذا؟ وما تفكيري في الشهادة؟

هذا علم مكانه في القلب ثم يخرج على السلوك

وليس كلام أحفظه وأردده ثم أقول عن نفسي أنني طالب علم، واليوم واليومين والسنة والسنين بل والعشر سنين في الطلب لا
شيء، هذا طريق تعيشه حتى تموت.

ومن الكلمات المشهورة للإمام أحمد أنه سئل إلى متى وأنت مع المحبرة؟ قال إلى المقبرة.

يعني إلى أن أموت، فالمقصد أنك عندما تدخل طريق الطلب لا بد أن تعرف هذا قرار حياة، ستبقى دائماً طالب علم، وقد
يحصل أن تلعب دوراً مزدوجاً، ستكون معلماً وأيضاً طالب علم، فأنت إن أصبحت معلماً ستكون طبيياً.

^١ ((..رَجُلٌ يَجْمَعُ الْقُرْآنَ وَيَرْجُلُ قَبْلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيَرْجُلُ كَثِيرُ الْمَالِ...)) ثم قال: ((يَا أَيُّهَا هُرَيْرَةُ أَوْلَيْكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسْعَرُ بِحِمِّ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) رواه الترمذي وَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ قَرِيبٌ.

معلم أخير طبيب للقلب

أطباء البدن كل سنة أو سنتين على الأقل لابد أن يجددوا علمهم بالطب حتى يصبحوا أطباء ممارسون، وهذا كله في النهاية يطيب البدن، والبدن أقصى حد له أن يموت.

ولكن كيف بطبيب القلب؟ طبيب القلب لابد أن يجدد طيلة الوقت معرفته، حتى يستطيع أن يعالج الأمراض التي أمامه سواء كان في نفسه أو في المجتمع الذي حول.

ومن المؤكد أنكم يوميًا عندما تفتحون أعينكم تجدون من الفتن والبلاءات ما هو جديد، وكل يوم نفتح فيه الأخبار تُغم نفوسنا بما نسمع، فنحن نحتاج أن نقدم حلول، والذي سيقدم حلولاً على مستوى رفيع ومناسب شرعاً الذي عنده علم، طالب العلم الذي عنده (قال الله، قال رسوله، قال الصحابة أولوا العرفان).

فإذا كان طالب العلم هذا تضع الملائكة أجنحتها له، مامعنى هذا؟ هذا الريح عالٍ، فمعنى ذلك أن المخاطرة عالية، فلما تسمع الترغيب لابد أن يدخل داخل قلبك الرهبة، فالمسألة تحتاج إلى كثير من التحذير.

نبدأ بذكر بعض النصوص ونتناقش فيها إن شاء الله.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيَتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ)).¹

هذا الحديث مشهور لكنه يحتاج إلى كثير من التأمل..

سنبحث في ثلاث كلمات (**سلك** ، **يلتمس** ، **سهل**).

■ (**سَلَكٌ**) ما هو السلوك؟ بداية السير. لماذا لم يقل يسير؟

كما لو استعملنا كلمة طريق سالك، وطريق هالك، فماذا يعني طريق سالك؟ أي ميستر، ممهّد، فهم سلكوه من أجل أن تسلك فيه.

معنى هذا أن أي طريق نسيره للطلب يمهد الله عز وجل لنا، الله عز وجل يوقع في قلوبنا الرغبة في الطلب، وهذا من تمام رحمته سبحانه وتعالى.

¹ رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني.

فأنت ما أتيت إلى الطلب لأنك أنت قررت أن تطلب العلم، أنت أتيت إلى الطلب لأنه حُبب إليك الطلب، فكثير من علماء السلف الذين حُبب إليهم الطلب يقولون: نخشى ألا نُؤجر عليه؛ لأنه صار على هواهم ومحبوبًا لدرجة أنه يخاف أنه ما يُؤجر عليه. إذن:

➤ السالك من فضل الله عزّ وجلّ له أنه يمهدّ له طريقًا للوصول.

➤ أننا لا نحتاج في الطلب إلا السلوك.

هل في الحديث ما يدل على أنه أصبح عالماً؟ لا. كل الفعل الذي فعله هو أنه استجاب لما حُبب الله إليه في قلبه، أي سلك طريقاً. والطريق السالك هو الطريق اليسير الذي يُسرّ ويستطيع الإنسان أن يسلكه وليس طريقاً وعراً يستطيع أن يسلكه، ولم يكن عليه حتى يأخذ هذا الأجر إلا أن يسلك، فكل المهمة التي ستقوم بها هي أنك ستسلك الطريق، وعلى هذا أنت مأجور على قدر سلوكك، وليس على قدر ما تجمع من شهادات.

بعض طلبة العلم قد يكون عندهم شيء من صعوبات التعلم، يصعب عليهم الحفظ، أو ليس عندهم نفس طويل في الكتابة، ويذهب ويأتي على مسألة واحدة، وزملاؤه تقدموا وفعلوا، نقول أنت ماذا تريد من الطلب؟ تريد أن يُسهل لك طريق إلى الجنة، سواء كتبت البحث وقدمته فكنت الأول أو كتبت البحث وقدمته ولم يقبل منك، أو بذلت كل ما تستطيع ولم تستطيع أن تكتب صفحة واحدة.

الله عز وجل ينظر إلى سلوكك وإلى جهدك ، وليس إلى النتائج.

وهذه معلومة مهمة لطالب العلم، الطلب ليس على طبقة معينة، أن يكونوا ممتازين في دراستهم ولهم قدرة على الإنجاز، الطلب لكل من حُبب إليه الطلب، الطلب شرف، تدخل فيه ماذا يقال لك: ابذل جهدك، لا تريد أن تبذل جهدك، لا تكون سالماً. هناك بعض طلبة العلم، مثلاً في الدورات التمهيدية، يُطلب منهم بعض الطلبات البسيطة، مثل خرج الحديث من كذا، اقرأ كلام فلان في التفسير، فهي تكون متميزة، وعندها قدرات علمية وليس عندها مشاكل أو صعوبات تعلم، فهذا الطلب بالنسبة لها يسير جداً، فتقول في ربع ساعة أجيب على هذا، تستعمل أسلوب الإستهانة، وتقول لو في الاستراحة أنا خرجت الكتاب أقدر أسجل على طول، فهذه ليست مشاعر طالب معني بل مستهتر وشاعر بقدراته، كل هذا ما يصلح لطالب العلم.

ذاك الذي اجتهد وتعب حقق "سلك" وهو مأجور؛ لأنه "سلك"، وستحکم هذا التفكير لما أفهم ماذا أريد، أنا أتيت إلى الطلب لا أريد المعلم ولا أريد الشهادة، أتيت الطلب أريد هذا الهدف (سهل الله له به طريقاً إلى الجنة) وكل من سلك له هذا الأجر، لكن بشرط، والشرط يأتي في (يلتمس).

ناقشنا مسألتين في كلمة (سلك): اتفقنا أن هذا الطريق السالك، ستسير فيه، لا تظن أنك لا تستطيعه، سيحبب الله إليك الأمر وسيهونه عليك وستسير إلى ربك.

ويجب أن تفهم وأنت سالك أن السالك بنفسه مأجور سواء حقق نتائج أو لم يحقق، أهم شيء أن تبقى متمسكاً بطريق الطلب.

■ (يَلْتَمِسُ) ما معنى يلتمس؟ يبحث، دائما الالتماس يكون لشيء خفي، فيه شيء من البعد والغموض.

مثلاً هذا المكان منكم من هو قريب ومنكم من هو أبعد بقليل ومنكم من هو أبعد بكثير، وأنت آت إلى مكانك هنا تُسمى سالك، لكن افترض أنك موجود في هذا الحي ولا يوجد لديك مدرسة تحفيظ، ولا دورة تمهيدية، ولا تأهيلية، ولا أحد يعطي دورات، وأنت تسلك طريقاً الآن تريد فيه العلم، فماذا سيحصل منك؟ أن تلتمس، تبحث.. نحن الآن من فضل الله علينا أن هذا الالتماس غير موجود، لأن الأمر متوفر بصورة ملحوظة، وتجدي في كل حي مدرسة تحفيظ والأماكن متقاربة والسيارات موجودة، فليس بذلك الخفي.

مثال واقعي :

أخت من موريتانيا، وأخت من مالي، أتوا إلى الحرم المكّي وكلما جلسوا بجانب أحد كانوا يسألون: هل تعرفون أحد يعلمنا كذا وكذا؟ تعرفون أحد يدرسنا كذا وكذا؟ ويقدر الله أن الاثنان عندما يسألون، يسألون طلبة علم، الحرم يحمل ٢ مليون شخص وتعرفون هذه السنة كيف كان الزحام، لكن يقدر الله أن لا تجلس هذه وهذه إلا بجانب طلبة علم، ليسهل الله لهم الطريق إلى الجنة.

وقد حصل موقف معي شخصياً أن امرأة أتت من دولة أوروبية وعليها من الحجاب، فلما صلت بجانبني قلت هذه من أهل الشام لونها يوحى أنها من أهل الشام، لكنها حتى عند النساء مسدلة ولا يظهر منها شيئاً، ثم انتهت الصلاة فحدثني، وقالت أنا أبحث عن مركز إسلامي يوفر لنا كتب ويوفر لنا علم، وكان في العشر الأواخر في وقت الزحام الشديد! أقول سبحان الله كيف يأتي الله بهذا جنبك حتى تدله والفضل لله.

هؤلاء الذين ينطبق عليهم لفظ يلتمس، ونحن بالشكر أولى، لأننا لا نلتمس شيئاً خفياً، فالأمر ظاهر والدعوة إليه واضحة، وقد قيض الله عز وجل أناساً كثيرين لما يقوموا بدورة صيفية يقوم أحد عنده شركة باصات، أو أحد عنده سيولة يقوم يستأجر شركة من الباصات وينقل الناس من المساجد، ويأخذهم للدورة الصيفية ويأتي بهم، فكثير من الدورات الصيفية يوجد فيها مواصلات مجانية ويعلن عن الدورات الصيفية في كل مكان.

فالمقصود بـ (يلتمس) من هم في المواطن البعيدة الذين يسلكون طريق لكنهم لا يعرفون إلى أين سيذهبون، وكل ما في قلوبهم إرادة أنهم يلتمسون طريقاً يوصلهم إلى العلم.

فلما أسمع كلمة (يلتمس) لا بد أن يورث في قلبي مشاعر الشكر، والشكر عبادة ﴿لِنُشْكُرْكُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^١ ، وأسوأ ما في طالب العلم الانتقاد، أن الله يتفضل عليه ويؤفر له ويهيئاً له مكان يتعلم فيه، فإذا نقص عليه شيء تجده صاحب لسان! هذا مما يذهب بركات الطلب ومما يذهب بركات الأماكن، ويكون الشخص غير مبارك على مجتمعه العلمي، أناقش هذه المسألة لأننا نعاني كثيراً ممن يطرد نفسه من الطلب بعدم الشكر، بالكفر بنعمة الله.

^١ إبراهيم: ٧

اقرأوا حول طلب العلم الشرعي..

هذه الأخت التي تحدثني من مالي التي أتت تلتمس طريقًا للعلم، كتبت بعض احتياجاتها ماذا تريد، مما تريده دفاتر وأقلام! نحن نشترئها بنصف ريال، وتكتب عدد الطلاب لكي نوفر لكل شخص دفتر وقلم.

انظر لطلاب العلم عندنا، على أحسن حال والفضل لله، هل تظن أن يبقى هذا وأنت لست شاكراً! ما يبقى، فقط انظر إلى دول الجوار سواء على اليمين أو على اليسار، إما دول فقدت الأمن وهي في اضطرابات، وإما دول كانت في فقر وأغناها الله، لكن عندما أغناهم فتحت عليها الدنيا، فأصبح الطلب لا مكانة له عندها، فالذي تعيشه الآن نعمة لا بد من الشكر.

وهذا الطلب بالذات من أعظم المسائل التي يشكر عليها الله، توفّره ويسره وسهولته، فكل شيء ناقص فيه لا بأس يسدد، فكن ذا نظرة تفاعلية ويأتيك الخير من الله، ولا بد أن يختبر الله عز وجل طالب العلم، فالحمد لله اختبرنا على قدر ما رزقنا، فنحن في نعم عظيمة، وهو سبحانه وتعالى بنا رحيم، حتى عندما ينقص علينا شيء، ينقص الشيء اليسير، الذي لا يستحق منا أن يأتينا شيء من الضيق، ولا يقبل منا أن يحصل منا شيء من الانتقاد.

(سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ) : التسهيل يكون في الدنيا أو في الآخرة أو الاثنين معًا؟

في الدنيا قبل الآخرة، يهبه كل الوسائل التي تكون سبباً لدخوله الجنة: يرزقه الإخلاص في أعماله، يعسّله وقت موته، يحسن له الخاتمة، يوفقه إلى أعمال مباركة، يحيي قلبه، ليس شرطاً أن يكون عالماً نخبيراً، لكن نتيجة الطلب يقع في قلبه حب الله، يقع في قلبه الشوق إلى لقاءه، يقع في قلبه تعظيم حرّامات الله، يوفّق إلى حسن خاتمة، ويوفّق إلى عمل صالح يبقى وراءه، كل هذا من تسهيل الله له الطريق إلى الجنة، ويعمل طالب العلم ويقبله الله، فيكون هذا طريقه إلى الجنة.

لو تكلمنا عن المعهد مثلاً سواء بنحتم أو لم تنجحوا خرجتم بامتياز أو بضعيف النتيجة واحدة من جهة أنه يُسهل لك به طريقاً إلى الجنة، لكن على هذا نكسل ونترك الطلب! المقياس هو الجهد، إذا اجتهدت كنت ممن سلك فالتمس فسُهل له.

طلاب العلم خصوصاً الذي يكونون عن طريق الشبكات، كأن الشيخ يأتي من بيته يكلم نفسه! وطلبة العلم بعد قليل يملّون ويتكلمون، أو يخرج جواله ويقلّب فيه! وآخر يغمض عينيه وينام! ولا يعلم أن الشيخ سيأتي يوم القيامة يأخذ حقه من كل طالب، فلقد فرّغ الشيخ نفسه وأتى ليعلمك حتى لو عن بُعد، حتى لو من وراء الشاشة، له الحقوق التامة.

كونك ما تراقب الله في الطلب معناه أنك خرجت من هذا الحديث.

قضيتك أنك تراقب الله، قضيتك أنك تطلب من أجل الله، ليس من أجل الناس الذين يجرون خلفنا، أتيتم من أجل الله، ومن فضل الله ليس لدينا شهادات معتمدة فلا أحد يدخل إلا يريد وجه الله، اعملوا لأنفسكم عملية مراجعة، فإذا أردتم شهادات معتمدة لتعملوا، خذوا دورات كمبيوتر أفضل لكم، ومثلها دورات الخياطة، ومثلها دورات التجميل.. هذا كله جائز ومباح، لا عتاب أن تأخذوا شهادة من أجل أن تعملوا، لكن اذهبوا إلى المكان المناسب، لا تخطؤوا الطريق، لا أحد يبيع آخرته بدنياه، لا أحد يعرض نفسه، فأول من تسعر به النار طالب العلم! المسألة تحتاج إلى صدق ومراجعة.

وعليك أن تعرف أنه ما أتى بك الله إلا وهو يريد بك خيراً.

في سياق هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ)).

طلب العلم يُكَوِّنُ لك علاقةً بالدنيا كلها، أولاً أشرف المخلوقات الملائكة، تصوّر أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم! لابد أن تثير نفسك بسؤال: ما هي أجنحة الملائكة؟ ما حجمها؟ فتجد أن الملائكة أولاً لها من الأجنحة مثني وثلاث ورباع والله عز وجل يزيد في الخلق ما يشاء لها أكثر من ذلك.

ثم في وصف جبريل عليه السلام أن جناحه يسدّ الأفق! هذه الأجنحة العظيمة تضعها لطالب العلم رضاءً بما يصنع، فهذا دلالة على عظمة طلب العلم.

هذه أول علاقة، كأن طالب العلم في الوسط وكون أول علاقة وأعظمها إلى الأعلى مع الملائكة، وهنا أتى تقرير الملائكة تفعل فعلين:

(١) تضع أجنحتها.

(٢) ثم تستغفر ((وَأَنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاءِ)).

يجب أن تلفت نظرك وتفكر في العدد، كأنه يقال: اعلم عن عدد الملائكة وتصوّر حال هذا، كم الملائكة؟ عدد لا يحظر على

بالك، إذا كان ((. . . الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ))^١ وإذا كان النبي صلى الله عليه

وسلم يقول على من يسجد في السماء ((أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَبْطَأَ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ

سَاجِدًا لِلَّهِ))^٢... استحضر كل النصوص وانظر كل هؤلاء يستغفرون لهذا العالم، فأبي ذنوب ستبقى عليه! هل فقط الذين في

السموات؟

مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ : من دواب، حتى نصل إلى الحيتان، لماذا ذكرت الحيتان خاصة؟

الحيتان هذه التي تكون في القاع، أعظم المخلوقات وجوداً في الضخامة، فتخيل الحيتان التي في المحيطات، وأنت هنا في الجزيرة

بعيدة تماماً عن المحيطات، وكل الحيتان التي في المحيطات تستغفر لك، فأبي شرف هذا !

والله أمام هذا النص بطيش العقل ! فكيف الإنسان يجلس ويترك هذا الطريق؟ !

^١ رواه مسلم في صحيحه.

^٢ رواه الترمذي وقال الشيخ الألباني : حسن دون قوله لوددت.

((وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ)) انظر إلى هذا الشرف العظيم ! هذا النص يقال لشخص مُقبل على العبادة، مثلاً: طالب علم من أهل مكة، من طبعه أن يذهب للحرم يصلي الضحى ويقرأ ورده إلى صلاة الظهر، فلما بدأ الطلب أصبح عنده تقصير في الذهاب إلى الحرم، وبالكاد يصلي الضحى، فيشعر أنه كان أحسن حالاً قبل الطلب! فيقال لهؤلاء ((وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ)) الكواكب مثل العابد شريف عالي، لكنه ليس مضيئاً، والقمر مثل الكواكب شريف فوق لكنه مضيء، القمر مثل الكواكب تشترك معه، لكن الزيادة أن القمر مضيء، أنه يرسل، أنه يتعلم ويعلم، فكأنه يقال: يُختصر من وقت العبادات - خصوصاً النوافل - يختصر وقت للعلم لكن هذا الوقت لا يعني أن يكون هذا العالم ليس عابداً، العالم من أعبد الناس ومن أكثرهم ذكراً لله، ومن أكثرهم خشية لله، ومن أكثرهم قياماً لليل، ومن أكثرهم تقوى لله.

(قيام الليل)

ولذلك سيكون من الوصايا لطالب العلم:

استعن بقيام الليل على طلب العلم، إن لم تستطيع أن تقوم في آخر الليل فقم بعد صلاة العشاء، لا بد أن يكون لك نصيب من القيام.

ما علاقة القيام بالطلب؟

اقرأ سورة المزمل وستفهم القضية، ولما تفهم أن قيام الليل فرض على النبي صلى الله عليه وسلم، ولما تفهم أنه فرض قبل أن تُفرض الصلوات الخمس، فتفهم أن الطلب والعلم ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾¹

هذا القول الثقيل كيف ستحمله؟ بقيام الليل، تقوم الليل، تجد نفسك في النهار، تصبح إناء جاهزاً لاستقبال القول الثقيل. كثير من طلبة العلم يفهمون هذه النقطة في بداية الطلب بصورة خاطئة، يظنون أنه لا بأس أن يقصروا في النوافل! المفروض أن تكون أكثر نشاطاً للنوافل، إلا الوقت الذي تشغل فيه بالطلب هذا لا بأس به، لكن ليس معنى ذلك أن تحرم نفسك من الأعمال الجليلة مثل قيام الليل وغيره.

((إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوْرَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ)).

¹ المزمل: ٥

سنقف وقفات مع السالك إلى ربه :

الوقف الأول: قلب السالك الذي يسلك إلى ربه :

قلبك أهم شيء فيك، ولا تظن أنك تصلح أو تفلح بدون قلبك، الذي سيحمل العلم ليس أوراقك وأقلامك، بل قلبك. نرى الآن ماذا سيحصل لطالب العلم، لأننا دائما نواجه مشكلة في أول الطلب، سنشرح المشكلة من خلال الآية..

يقول الله عز وجل في سورة الرعد ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ﴾ هذا المثل الأول، ومعه مثل آخر ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾^١.

﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ أين المشبه به في هذا المثل؟ ماذا يصف الله عز وجل هنا؟ ماذا وُصف لنا في الآية؟

أولاً: نصف الشيء الحسي الذي في الآية ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ أي هذا مطر نزل على وادٍ، وكل وادٍ حمل من الماء بقدر اتساعه، هذا الوادي لما أتى عليه السيل وصف لي الوادي والسيل علاقتهما ببعض، الوادي وهو خال مليء بالأوساخ والقاذورات والأشياء المشتتة يمين ويسار، فلو أتيت على الوادي وهو خال ربما لا تميز بشكل واضح أنه ممتلئ بالأوساخ، لكن لما يأتي السيل يلم كل هذه الأوساخ فتظهر على السطح ﴿ فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ﴾ إذن ماء، وواد، وزيد، الزبد ماذا يحصل به؟ رابيا، أي يرتفع إلى أعلى، هذا المثل الأول.

أيضاً في الآية مثل آخر: لما يخرجون من الجبال المعادن مثل مهد الذهب هذا عبارة عن كهوف يدخلون ماذا يفعلون بها؟ يخرجون من الكهوف حجارة أنت تراها حجارة، عشان يميزوا الذهب التي فيها ماذا يفعلون؟ يضعوها على النار، الأشياء التي مع الذهب من ترتفع إلى أعلى الشوائب والذهب يستقر في الأسفل. ما العلاقة بين المثليين؟.

كلاهم يدل على أن هناك شيء ينفصل، فوق يكون الزبد، وفي الأسفل ما ينفع الناس، ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ سواء كان الماء في المثل الأول أو الذهب والمعادن في المثل الثاني. ما علاقة هذا بطالب العلم؟.

الوادي هو قلوبنا، والماء هو العلم، نزل العلم على القلب، وكان القلب ممتلئاً بالشوائب، لكن لم أكن أشعر بها ولا أميزها، لما أتى العلم ماذا فعل؟ ليس فقط أخرجها أظهرها، وهنا تحصل المشكلة فجوة عند طالب العلم، ماذا يحصل؟

^١ الرعد: ١٧

غالبًا يأتي الإنسان في الطلب فيظهر عنده الحسد، يشعر بالكبر، بالعجب.. هذه الأمراض، غالبًا يشعر طالب العلم أنه كان قبل الطلب أحسن، نقول: أن هذا كان موجودا لكن ما كان عندك العين التي تراه، ولا المقياس الذي أشعر به، هو مدسوس هنا وهنا، وأنا أتصرف به وأنا غير شاعره، لما يأتي الطلب أبدأ أميز، هذا كبر، وهذا عجب، وهذا حسد، حينها وأنت تسير في الطلب أول شيء يحصل لك أن عينك سيلتفت على قلبك، فنحن طيلة سيرنا في الحياة بدون علم أعيننا على أعمالنا أو شهواتنا.

بناتنا الصغار من أول ما يستيقظوا الصباح عندهم قائمة من الطلبات، فنشعر أننا طيلة الوقت ونحن نحري وعقولنا فيما تريد، ثم لما نكبر ونعقل نقول: يجب أن يكون عقلنا في العبادات التي نقوم بها، تارة في ما أريد، وتارة أعبد الله، ولا ندري أن القصة كلها هنا في القلب، حتى الذي تريده يسوقه الله عز وجل على قدر ما هو قائم في قلبك، واسمع في كتاب الله خطابه سبحانه وتعالى

للقلب، واسمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم، كل هؤلاء يحفظوا حديث النبي صلى الله عليه وسلم: **((أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ**

مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ . .))^١ كثيرا ما نسمع هذا النص، لكن إلى أي درجة عيوننا على قلوبنا، إلى أي درجة

نشعر على قدر ما في قلوبنا سيؤتينا الله خيرا **﴿إِنَّ يَٰعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾**^٢ هذا هو أهم شيء.

هل نشعر بقلوبنا؟ نحن غافلون، ودائما لما تأتينا مواقف لا نعرف تفسيرها..

كم مرة تصرفت تصرفا لكي يمدحني أحد، فينقلب علي الموقف ويذمني، ثم أقول: أنا ليس لي حظ، كلما قمت بشيء من أجل كذا يأتي بالعكس..

فماذا تريد؟ تريد أن تنتفع من الطلب؟ تريد أن تكتشف من أنت؟ وما هي الأمراض التي عندك؟ وتبقى طيلة الحياة تعالج، وتجاهد، لكن أي شيء تعالج وتحارب؟ كل هذا سيظهر مع الطلب.

إذن في الطلب سيبدأ الاكتشاف، ولذلك لما يطمئن قلبك للعلم ستشعر أنه حتى أولوياتك واهتماماتك تغيرت، يكون الإنسان يسير وكل تفكيره مثلا شكله، وكل إحساسه أنه سيؤثر على الناس بمعسول كلامه، ثم في الآخر يعرف أنه في الحقيقة شكلك آخر شيء يمكن أن تفكر فيه، وفي الحقيقة مهما كان كلامك جميلا لكنه لو ما جعل الله له مكانا في قلب من يسمعه لن ينفعه.

إذن سنتفق على هذه القاعدة :

" من كان وعاء للخير ملأ الله وعاءه "

أين وعائك؟ قلوبكم، إذا كان قلبك وعاء بذلت جهدك في أن تنظفه للخير، لا بد أن يملأ الله عز وجل وعاءك.

هكذا نكون انتهينا من الكلام عن قلب السالك إلى ربه..

^١ متفق عليه.

^٢ الأنفال : ٧٠

الوقف الثاني: قدرات السالك .

قواك كلها تجتمع في هذه الكلمة العظيمة، في (لا حول ولا قوة إلا بالله)، لا تتصور أن لك قوة ذاتية.

طريق الخذلان في الطلب هو: الاعتماد على النفس.

من أعظم الأخطاء التي يخطئها طالب العلم أن يظن في نفسه أن عنده من قدرات الطلب ما ييسر عليه الطلب، **الطلب لا يأتي**

إلا بـ لا حول ولا وقوة إلا بالله، كلما ازددت من التبرؤ من حولك وقوتك، أمدك الله بالعون.

إذا ما كان لك من الله عوناً لا بد أن تُخذل، فلا تظن أنك تغلح دون أن يعطيك الله عز وجل حولاً وقوة.

المشكلة أن كثيراً من الطلبة يكونون متفوقين في دراستهم، فيدرسون مثلاً مادة التوحيد على يد أحد طلبة العلم، ويأتي في آخر

الفصل فيرسب، فيقول أنا طيلة عمري متفوق كيف أرسب!

هذا الطريق ليست قدراتك فيه ما تملك من القدرة على الكتابة أو القراءة، قدرتك فيه بطلب الحول والقوة من الله، ففهمك

للمسائل يعتمد على مقدار تبرؤك من حولك وقوتك.

لهذا نقول في أذكار الصباح والمساء **((لا تكلفني إلى نفسي طرفة عين))**^١، وهذا كلام يقال للشباب خاصة الذين هم قليلو

التجربة، الذين ربما يكونون قد غرهم نظام التعليم في نفوسهم، فنظام التعليم اليوم في المدارس، هو عبارة عن الورقتين التي

نأخذها في نهاية الفصل الدراسي ونختبر فيها.

أما في الطلب لا توجد هذه الطريقة، ويُجرم طالب العلم لما يكون كل تفكيره بماذا سنختبر؟ من صفحة كم إلى كم؟ اختصر،

اكتب أسئلة، كل هذا ليس من نظام الطلب، هذا نظام مدارس.

الوقف الثالث: ما يحتاجه السالك من جهة اهتمامه بالعلوم ومن جهة عمل قلبه.

سأعرض لكم بعض النصوص من الآيات والمطلوب ملاحظة خواتيمها، ثم ننظر في النهاية نطلع بنتيجة:

نظر للآية الأولى، يقول عز وجل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^٢، وقال: ﴿فَإِنْ

زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^٣، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا

أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِأَخِيذِهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^٤

^١ المستندرك على الصحيحين للحاكم، قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

^٢ المائدة : ٣٤

^٣ البقرة : ٢٠٩

^٤ البقرة : ٢٦٧

كل هذه الآيات جزء من سياقات كثيرة، كلها فيها أمر بالعلم، وأتى بعدها العلم عن الله، ماذا تعلم عن الله؟ أسماء الله عز وجل وصفاته.

أي تكرر في كتاب الله أكثر من ثلاثين مرة أمر بالعلم، اعلموا، اعلم، فماذا أتى بعده؟ **فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** ، كل ما أتى فعل الأمر (اعلموا) أتى بعدها شيء عن الله، أي يجب عليك أن تعلم عن الله أنه عزيز حكيم، يجب عليك أن تعلم عن الله أنه غني حميد. **يحتاج إلى العلم عن الله**، وهذا أهم أهداف الطلب.

فكثيرا ما يخطئ طالب العلم لما تكون علاقته بكتاب الله علاقة حفظ فقط، حفظ الألفاظ دون تدارس المعاني؛ لأنه في الحديث لما الرسول صلى الله عليه وسلم يصف القوم الذين اجتمعوا في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه، فأين ذهب فعل يتدارسونه؟! فعل يتدارسونه!

ترى أثر عدم تدارس الناس للقرآن، أي عدم فهمه وعدم العناية بفهم كلام الله، ترى أن هذا حافظا لكتاب الله، لكن لا أثر للقرآن عليه، ويأتي في موقف لا بد أن يأخذ حقه، وهو الذي يحفظ قوله تعالى: **﴿إِنْ تَبُدُّوا خَيْرًا أَوْ تَخْفَوْهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾**^١ هو من يحفظ هذه الآيات، فتجده يخالف النصوص؛ لأن هذه النصوص ما دخلت إلى قلبه.

سأضرب مثلاً بسيطاً: نحن نجد طلبة العلم يعرفون من حديث النبي صلى الله عليه وسلم أن في مجالس العلم تحيط الملائكة، ويذكر الله عز وجل هذا المجلس الذي فيه علم فيمن عنده، أليست الملائكة في قلوبنا لهم مكانة؟ وهم خلق عظماء، ووجودهم في المكان دليل بركة المكان..

هل كل طلبة العلم في وسط الدرس عليهم آداب الطلب؟ في كثير من الأحيان لا يكون عليهم آداب الطلب، فما هي المشكلة التي تحصل؟

سنذكر أمراً مهما وهي قاعدة تشخص المشكلة التي عندنا.

سنذكر ثلاث كلمات، وسيدور النقاش حولها:

- (اعتقادات) وهذه مكانها في القلب
 - (مشاعر) ومكانها أيضا في القلب
 - (سلوكيات أو تصرفات) وهذه مكانها الجوارح.
- كوني علاقة بين هذه الكلمات الثلاث..

^١ النساء: ١٤٩

اعتقاداتنا تسيطر على مشاعرنا، ثم مشاعرنا توجه الجوارح.

فلما أسألك الآن ما ركائز العبودية؟ (الحب، الخوف، الرجاء) هذه مشاعر أتت من اعتقادك أن الله هو كامل الصفات، وأنه سبحانه وتعالى هو العظيم، وهو سبحانه وتعالى صاحب المنة والفضل على الخلق وهو الحليم السثير الكريم، كل هذا أورث في نفسك حبًا وخوفًا ورجاءً.

الذي تعتقده هو الذي يسيطر على مشاعرك، أنت الآن تعتقد أن هذا مجلس تحيط به الملائكة، المفروض أنه يسيطر على مشاعرك رهبة إحاطة الملائكة ، فستكون مؤدبًا، فلما لا تكون مؤدبًا تكون مشكلتك في المشاعر، عندك اعتقاد لكنه لم يسيطر على مشاعرك، عندك اعتقاد تسمع له قد تكون طالب متميز وحافظ، وأطلب منك أن تكتب عن طلب العلم فتكتب وتكتب لكن أين هي في مشاعرك! غير موجودة؛ لأن هناك حاجز عن المشاعر، لنراجع كل حياتنا سنجد أن هناك حاجزًا

عظيمًا بين اعتقاداتنا ومشاعرنا، ما الذي يسيطر على مشاعرنا؟ الهوى ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاءً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^١.

عَلَىٰ عِلْمٍ أي نعرف كل الاعتقادات الصحيحة لكنها مجمدة، لا قيمة لها، مشاعره التي تصدر منها التصرفات هناك ما يسيطر عليها غير الاعتقادات، يسيطر عليها الهوى.

لذلك لما نأتي إلى قضية مهمة مثل قضية الحقوق ، عليها ستنصب الموازين، عندما أرى نفسي في الحقوق، أجد أنني أحكم هواي في الحقوق.

مثلاً: جارتي التي أمامي في الشريعة، حقوقها أكثر من جارتي التي فوقي والتي تحتي، لأن كل ما اقترب كل ما كان الحق أكبر، ثم جيران الذين في العمارة حقهم أكثر من جيران في العمارة الأخرى، نفترض أن جارتك التي أمامك لا تحبينها كثيراً، وجارتك التي فوقك تحبينها أكثر، اتصلت التي أمامك و دَعَتِكِ لزيارتها لوجود ضيوف لديها، فاعتذرت لها، واتصلت جارتك التي فوقك، و دعتك لوجود ضيوف أيضاً، وأجبت الدعوة، ومن ثم تقولي لنفسك النفس ما تهوى، ومن ثم تنسى آية نحن نحفظها ﴿وَنَهَىٰ

النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^٢ نحفظ هذه الآية لكن لا نعيشها، لم تسيطر على مشاعرنا، فالمسألة كلها عبارة عن حقوق مرتبة.

أسألكم بالله حديث ((وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ))^٣ أليس حديثًا محفوظًا مكرراً؟ أين تقع ممارساته؟ في ساحات المدارس في بعد الفسحة، أم في النزاهات.. المشكلة في ضعف الإيمان.

^١ الجاثية: ٢٣

^٢ النازعات : ٤٠

^٣ رواه مسلم في صحيحه

ما هو الإيمان؟ الإيمان هو سيطرة ما تعتقده على شعورك، فلو كنت مؤمناً أن إمامة الأذى عن الطريق صدقة ستتقرب إلى الله بالإمامة، وبالانتها عن إلقائها.

تعلمون حديث النبي صلى الله عليه وسلم ((غَفِرَ لِرَجُلٍ أَخَذَ غَضْنَ شَوْكٍ عَن طَرِيقِ النَّاسِ ذُبُّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَمَا تَأَخَّرَ))^١، هل تعرف لماذا أدخله الجنة بهذا العمل؟ القصة ليس في العمل، بل في الإيمان، فهو قائم في قلبه، مسيطر على مشاعره، يتقرب إلى الله بهذا العمل، فهذا العمل ثقل في ميزانه، سيطر على مشاعره.

نحن نعيش بأن نحشو أنفسنا باعتقادات ونتعلم، ونحفظ، ونحفظ، ثم المكان الواصل بين اعتقاداتنا وبين مشاعرنا مفصول، ومتروك كما هو! لا يوجد أحد يفكر ليحل المشكلة.

قد ندخل في مرض العلو أثناء الطلب ونحن لا نشعر! إرادة العلو مرض داخل في الأعماق، لنفترض مدارس التحفيظ في حي واحد، هؤلاء المفترض أن يصبح بينهم تعاون؛ لأن الهدف واحد، أما إن كنت أريد أن أصبح مميزة وعدد الناس الذين عندي أكثر؟ وكذا.. بهذا أصبحت مؤسسة تنافسية لا نشر لدين الله! ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^٢.

هناك طرق لتذيب هذا الحاجز من التفكير، وسيأتي إن شاء الله الكلام عن هذا.

المقصود ونحن نتعلم نملاً خانة الاعتقادات، لكن خانة الاعتقادات ليست كافية، لا بد بعد خانة الاعتقادات تأتي خانة المشاعر، فلا بد أن تسيطر خانة الاعتقادات على مشاعرك.

وتصور مسلم جديد دخل في الإسلام وحسن إسلامه، وقل له: لنا أم كلنا مشتركون فيها اسمها (خديجة) رضي الله عنها، كان لها من المواقف المشرفة مع النبي صلى الله عليه وسلم كذا وكذا، وأعانتة وفعلت رضي الله عنها، وهي أمنا التي نتشرف بالنسبة إليها، وتصلنا إلى بيت النبوة، وقل له مثلها عن (عائشة) و(حفصة) رضي الله عنهم، فلما تأتيه بنات يسمي هذه خديجة وهذه عائشة وهذه حفصة لماذا؟ اعتقاداته سيطرت على مشاعره..

انظر إلينا المسلمين الأصليين، نسأل الله أن يجعلنا من الشاكرين على نعمه أننا مسلمين أصليين، قل له سمي عائشة وحفصة، يعطيك محاضرة، ويقول لك: هذا كبير عليهم! كأن الاسم مقاس! لا شيء مسيطر علينا، لكن ذاك مشاعره أمام عينيه، فهي التي سيطرت عليه.

قل له أن ربنا يحب هذه الأرض، فيبذل الغالي والنفيس من أجل أن يأتي إليها.

كلمتي أخت فرنسية أسأل الله أن يثبتها، بعد أن أسلمت أسمت نفسها سكيينة، تقول لي المترجمة أنه سيكلفهم الحج بالسعودي مائتين ألف ريال، لكنهم مستعدين لترك كل شيء، وبذل المال من أجل أن يأتوا في سبيل الله، هل ليأتوا لأرض حضراء، ذات

^١ صحيح ابن حبان.

^٢ القصص: ٨٣

أنهار، ويتنزهوا؟ لا، صحراء، لكنه يتجرد القلب من كل شيء لله، فتصبح هذه الأرض الجرداء جنة، عند من يعرف أنه في مكان يحبه الله، تسيطر عليه المشاعر.

هل أهل مكة يشعرون بالنعمة التي يعيشونها؟ ويشعرون بالشوق إلى الحرم؟ ويشعرون أنهم في نعمة عظيمة بسكانهم في أرض يحبها الله عزو جل؟ نرى ونشهد مواقف تدل على البطر على نعمة الله -إلا من رحم الله-. هل تشك أن الله هو الرزاق؟ لا، فما بالك تشعر بغليان وخوف وقت ما يقال لك: تأخر عنك المال، أو وقت ما تكون محتاجا إلى شيء؟ وتبات في الليل خائفا أن تصبح في الصباح ولا تجد كذا، أليس الرزاق هو الذي يسوقه؟ فلو كان إيماننا أنه رزاق قوي، لحصل الاطمئنان.

في الحديث: ((سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ)) هؤلاء ماذا يفعلون؟ ((وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ))^١، يدخلون الجنة بغير حساب من قوة طمأنينتهم بالله، بسبب معرفتهم بالله وهذه المعرفة سيطرت على مشاعرهم، فأصبحوا يسيرون وهم مطمئنين، لن يحدث شيء إلا هو مكتوب عند ربي، ولا اختيار إلا اختيار الله، ولا شيء أتمناه لنفسي والله ييخل به علي، إلا أنه يمنع عني ما يضرني، تري كيف هي الثقة!

الإنسان لو عاش تحت هذه الثقة يدخل الجنة بغير حساب، ولا يشعر أنه محتاج لأحد، ولا يتعلق بأحد، ولا ينتظر من أحد، ولا عينه على أحد، ولا يحسب حسابات لأحد، كل شيء لا شيء والحقيقة أن الله كل شيء في حياة هذا الشخص، كل هذا بسبب نفس المعلومات، هذا القرآن هو الذي اهتدى به الأولون، وهو الذي سيهتدي به الآخرين، لكن بشرط أن الاعتقادات التي تدخل لقلبك تسيطر على مشاعرك.

تحصل الإشكالات في الاعتقادات بسببين:

أولاً : الاعتقادات مشوشة، فأنت ستضع أمامك كتاب الله، ليس من أجل أن تحفظه فقط، الحفظ وسيلة وإنما الحقيقة لا بد أن يفهم، فالاعتقادات مشوشة والذي سيحل هذه هو أن نتعلم من القرآن والسنة الاعتقادات الصحيحة.

ثانياً : هناك حاجز ما بين المعلومات والمشاعر.

أنا طالبة علم وتعلمت، وعرفت عن الله أنه الغني، أنه القريب، أنه المجيب ومع هذا لم تتحرك مشاعري، لا أستطيع أن أتغير، لأبأس، كلما زاد العلم و ذابت المنطقة ما بين المعلومات وما بين المشاعر، فستجديها تسيطر عليك.

كيف يزوب الحاجز؟ هناك طرق كثيرة، فلذلك لا بد أن تكون الدراسة بطريقة معينة، أي : الدراسة ليست فقط تلقيناً، إنما لا بد من البحث، وضع مشكلة والتفكير فيها.

أول طريق لتذويب الحواجز ما بين الاعتقادات والمشاعر : **عبادة التفكير.**

عبادة التفكير تكون في الكون، و النفس، و العلم نفسه الذي أتعلمه..

^١ متفق عليه.

فهذا الأماكن التي تُعلم ينبغي أن لا يكون العلم فيها روتيني نفتح الكتاب ونقرأ، ونحفظ، ونختبر.. ليس بهذا بل لابد أن تقرأ، لابد أن تبحث، لابد أن تصبح عميق في فهمك.

إذن أول ما يحتاجه السالك أن يتعلم عن الله، فماذا سيفعل العلم عن الله، العلم عن الله سيأتي بالخطوة التي بعدها ﴿ يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾^١

ماهي التقوى؟ سأمثلها بصورة تحدث كل يوم، كل دقيقة ونحن لا نشعر بها، انظر أنت في النهار تتعرض لمواقف يجب أن تتقي فيها، تصبح بين أمرين بين أن تأخذ حقاك وبين أن تعفو، ماذا يحصل في قلبك وقت الموقف؟ ينعقد مجلسا سريعا، نتخيل طاولة مفاوضات:

على اليسار هواك ومعه الشيطان، على اليمين العلم الاعتقاد الذي تحمله، ويضع الموضوع على الطاولة هواك ونفسك والشيطان، ماذا يقولان لك؟ (خذ حقاك وإلا سيقال عنك أنك ضعيف، لو عفوت عنهم سيأخذون عليك..) إلى آخر ما يلقتك .

والذي على اليمين العلم يقول لك إن تعفو، ﴿ أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ، ﴿ إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تَخَفَوْهُ أَوْ تَعَفَوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴾ ، ﴿ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا ﴾ ..

هذا من هنا وهذا من هنا، والذي يثقل سيجعلك تتصرف على أساسه:

- إذا غلب ما تعلمته، أي إذا سيطر معلوماتك على مشاعرك وعلى اتخاذك القرار هذا اسمه تقوى، اتقيت ما يسخط الله

- إذا غلب هواك والشيطان أصبح اتباع للهوى.

طول الوقت وأنت معروض أن تكون تقيا أو تكون تابعا لهواك.

قد نكذب على أنفسنا، فيقع ابني في خطأ وأكون غاضبة من والده، فأضربه على أنه من باب التأديب، وأنا في الحقيقة أتبع هواي في إخراج ما في نفسي من غضب!

راجع نفسك ستجد أمثلة لا تنتهي في متابعة للهوى، والمشكلة الأكبر من مجرد متابعة الهوى أننا لا نعلم أننا نتبع هوانا، لا نعرف أن هذا هو الهوى، وهذه هي التقوى، فكل مرة تأخذ فيها قرار، لابد أن قرارك إما تابع للهوى، وإما تابع للتقوى.

كم مرة تكلم طلبة العلم بهواهم فأفسدوا، أفسدوا أماكنهم، أفسدوا على زملائهم، أفسدوا على معلمهم، فحتى تكون طالب علم مبارك لابد أن تكون تقيا.

ما أثر أن تكون تقيا؟ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ أول الأمر يجعل لكم فرقانا، ما هو الفرقان؟ العلم

والهدى الذي يفرق به صاحبه بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والحلال والحرام، أهل السعادة من أهل الشقاوة.

^١ الأنفال : ٢٩

كلما اتقيت كلما أصبح عندك نور تفرقين به بين الحق والباطل، خصوصاً وأنت تكبرين وتتخذين قرارات كلما جعل الله لك قوة على تمييز النافعين من غير النافعين، أنت الآن طالبة علم صغيرة لكن يتأمل لك أن تكوني غداً كبيرة ومسؤولة، فلا بد أن يتدرب قلبك على التقوى إلى أن تصبحي صاحبة قرار، سواء تصبحي صاحبة قرار في بيتك أو صاحبة قرار في معهدك أو مدرستك أو أي مكان، التقوى تسبب أن يهبك الله فرقانا.

الفرقان مسألة جدا مهمة لأنك دائماً تجد نفسك في مفترق طريق: أذهب كذا أو كذا؟ أتصرف كذا أو كذا؟ أتفق مع هؤلاء أو لا أتفق؟... فالفرقان يجعلك تفرق بين الحق والباطل وأحياناً ليس عندك كلام تقوله لكن تشعر أنك لا تريد هذا الأمر، قلبك ينصرف عنه، هذا من الفرقان الذي يهبك الله إياه بسبب أنك تقي، ليس كل أحد ينصرف عن شيء هذا بسبب الفرقان، أحياناً هواء.

كيف أعلم هذا هوى أو فرقان؟ أكون تقية ..

الأمر الثاني والثالث من آثار التقوى: تكفير السيئات ومغفرة الذنوب، وكل واحدًا منهما داخل في الآخر عند الاطلاق وعند الاجتماع، يُفسر تكفير السيئات بالذنوب الصغائر، ومغفرة الذنوب بتكفير الكبائر. إذن أنت يا طالب العلم كلما اتقيت كفر الله عنك سيئاتك وغفر لك ذنوبك.

الأمر الرابع: الأجر العظيم الذي سترتب على التقوى، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

إذن ماذا يحتاج السالك إلى ربه؟

١- العلم عن الله رأس العلوم التي يتعلمها.

٢- أن يكون تقيًا.

٣- يحتاج أن يقرأ، الأمر بالقراءة يدل على أنه محتاج لأن يقرأ، وأيضًا جاءني الكلام عن القلم، إذن يحتاج إلى الكتابة. الآية فيها كثير من الآداب والوصايا لطالب العلم حال طلبه للعلم..

﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ معناها تقيد العلم بالكتابة، دليل على أن معالجة النسيان تكون بتقيد العلم، فمما يحتاجه طالب العلم العناية بمذكراته من الأخطاء التي يقع فيها طالب العلم يظن أن له ذاكرة حديدية، أو يأتي طالب علم وينسى دفتره وقلمه! لا يأتي يوم تشعر أنك لست بحاجة له.

أيضًا الأمر بالقراءة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ جاء معدى بباء الاستعانة، أي اقرأ مستعينا بالله، فالفهم عن الله وفهم العلم لا بد أن يصحبه الافتقار إلى الله عز وجل.

تكرار لفظ فعل الأمر ﴿اقْرَأْ﴾ مرتين، ويقارنه تكرار لفظ الفعل الماضي ﴿عَلَّمَ﴾ إشارة إلى أمرين:

١) القراءة يفترض أن تكون مرة بعد مرة، المطلوب منك وأنت في الطلب ليس أن تقرأ مرة وتكتفي، إنما تقرأ مرة بعد مرة، فمعناها تكرار القراءة هذه إشارة إلى أن القراءة مرة بعد مرة شرط في ثبوت العلم، وازدياد الفهم للمعلومة.

٢) لما يأتيك فعل اقرأ، أنت مأمور به، ثم يأتيك فعل (عَلَّمَ) الماضي المنسوب إلى الله، كأنه يقول : منك الوسيلة وعلى الله العطاء، القراءة فعلك، والتعليم فعل الله، فأنت تأخذ الوسيلة، والله عز وجل يعطيك النتيجة.

المطلوب منك أن تقرأ مرة بعد مرة، اسعى والعلم ربنا يعلمك إياه، العلم رزق يرزقك الله إياه والوسيلة التي ستأخذها القراءة، إذن العبد يسعى بالقراءة، والرب يرزق به عِلْمًا، هذه الآيات ممتلئة فوائد لطالب العلم لو تلمسها.

٤- وأنت سالك الى ربك تحتاج أن تقرأ وتقرأ و تقرأ وأنت مستعين بالله وتفهم أن العلم لا يأتي إلا من عند الله، فأنت لا تقرأ إلا باسمه ولن تتعلم إلا بأمره، وهذا يجعلك شديد التعلق بالله، ولو ما كنت شديد التعلق بالله لا يفتح لك باب الطلب.

إذن بدأت تتعلم، لا بد أن تكون هذه الآية بين عينيك قوله تعالى: ﴿ **أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ** ﴾^١ وتصير تحارب في نفسك مرض التعالم ؛ لأن طالب العلم كما يقول أهل العلم غالبًا إلا من نجاه الله يدخل في ثلاثة أشبار..

يقول أهل العلم: العلم ثلاثة أشبار، من دخل في أوله تكبر، ومن دخل في ثانيه تواضع، و من دخل في ثالثه علم أنه لا يعلم. فكن من الشبر الثالث مباشرة، دائما هذه مشكلة يشعر بها الناس، تذهب تتعلم وتحفظ القليل فتجد نفسك منفوخًا! أنت فقط انكب مثلاً على سير أعلام النبلاء لتعرف من نحن! لتعلم أننا لا شيء.

٥- إذن مما يحتاجه السالك أن يحارب في نفسه مرض التعالم.

نأتي لهذه الآية نرى تعلمنا شيء من ما يريده السالك : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا** ﴾^٢

٦- مما يحتاجه السالك أن يتحمل بحسن العبادة بالإجابة بالإخبار بالذل.

شرف طالب العلم ذل بين يدي ربه.

طالب العلم الذي هو طالب العلم الحقيقي لا بد أن ترى آثار الذل والفقر عليه، لا يأتي يقول (نحن درسنا وتعلمنا وفهمنا) بل يقول: ربنا علمنا، ربنا فتح علينا، ربنا يسر لنا.. ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾^٣ كل النعم تنسب إليه سبحانه وتعالى، ومن جهة أخرى دائما تجده ذليلاً، لا يحب الوجاهة، حب الوجاهة يعكر على القلب صفاؤه، هارب من الدنيا، ذليل منكسر.

مَنْ كَانَ وَعَاءَ لِلخَيْرِ مَلَأَ اللهُ وَعَاؤَهُ

فانظر أين وعاءك ركز أن هذا الوعاء لما يمتلئ أكيد سيفتقر إلى الله، أكيد ستكون شديد الذل له سبحانه وتعالى؛ لأنك ستعرفه وتعرف مكانك وسيربيك الله وستمر عليك مواقف ترى كيف نجحك الله، كيف أخرجك الله، كيف رزقك الله، كيف رحمك الله،

^١ البقرة : ١٤٠

^٢ الإسراء: ١٠٧

^٣ الضحى : ١١

كيف سترك الله عليك، كيف عاملك الله بحلمه... فلما ترى هذا كله تزداد فقراً له، لما ترى توفيقه من هنا وتسديده من هنا وما يلقيه الله عزوجل في قلوب الناس من محبة من هنا، وترى من هنا كيف أعطاك من العقل ما تحرر به المسائل.. كل هذا يزيدك عبادة، إجاباتاً، ذلاً، فقراً له سبحانه وتعالى، وهذا أهم سمات طالب العلم.

ولك في علمائنا الكبار قدوة، ألا ترى كيف الشيخ ابن باز رحمه الله و قبول الخلق له؟ ما حاله؟ شديد الإجابات، تستطيع من كلامه أن تشعر أنه شديد الإجابات، ليس له في الواجهة، الدنيا تجري وراءه، وليس هو الذي يجري وراءها، ومثله الشيخ ابن عثيمين رحمة الله عليه، فلك في سيرة هؤلاء قدوة.

فلا تجعل الدنيا أمام عينيك، ولا تجعل أهلها هدفاً، سر إلى ربك بالعلم وربنا سيأتي لك بأهل الدنيا كلهم.

أيضاً من الآيات التي تكون مصدراً لمعرفة الخطوات للسلوك قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾^١

٧- نريد أن يستودع صدرك البينات، ضروري جداً أن يكون معك حفظ، مهما كنت ترى نفسك لا تحفظ يفتح الله عز وجل عليك وتحفظ إن شاء الله.

الحفظ له طرق:

هناك شيء اسمه الحفظ بتكرار النظر، وكثير من العلماء هذه طريقتهم، يعني تذهب لصفحة في صحيح البخاري مثلاً هذا الحديث أنظر له، أقرؤه وأكرره إلى أن تتعلق بذهنك الكلمات، ستجد أن هناك كلمات محفوظة وكلمات ساقطة، فارجمي إلى أن تأتي بكلمتين من الساقط إلى أن يكتمل عندك النص، هذا بتكرار النظر سيأخذ وقتاً، لكن في النهاية سيكون من العلوم الثابتة.

أما أن يقال لك ألقى محاضرة في هذا المسجد أو هذا الاجتماع.. فتقولين لم أحضر بعد! لا بد أن يكون العلم في صدرك، تفسير سورة الإخلاص، شرح اسم الله الأحد واسم الله الصمد، آية الكرسي، واسم الحي القيوم..

هذا معيب، لا بد أن تكون أسماء الله ظاهرة في ذهنك، وتستودع هذا العلم في صدرك، الله عز وجل يقول: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ لا بد أن يكون في صدرك تحمله لأنك تستظهره في الموقف.

٨- أيضاً مما يحتاجه السالك ما نفهمه من هذه الآية: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾^٢ فأنت يا طالب العلم تحتاج فهماً عميقاً وليس فهماً سطحياً.

٩- أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^٣ تحتاج إلى الدعاء، توصل إلى الله بطلب الزيادة، لا شيء أمر الله رسوله بطلب الزيادة منه إلا العلم.

^١ العنكبوت: ٤٩

^٢ الأنبياء: ٧٩

^٣ طه: ١١٤

١٠- أيضًا قوله تعالى : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^١ الذين يعلمون كثيري الحمد، كن من الحامدين كلما تعلمت وكلما تكلمت.

كل ما تعلمت شيء جديد احمد الله لأنه هو من علمك، وكلما تكلمت بهذا العلم احمد الله أنه وقّك للكلام.
انظر إلى موسى عليه السلام لما أتى أن يتعلم من الخضر ماذا قال له الخضر ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾^٢.
١١- العلم يحتاج إلى صبر.
هذا مجمل ما نريد إثباته في طريق السالك.

سأهني اللقاء بذكر:

وصايا لطالبي العلم:

أنت يا طالب العلم اسمع هذه القاعدة وافهمها جيدًا وسترى أن تطبيقاتها في الحياة كثيرة:

(دع ما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره)

أي لا تضع نفسك في شبهة ولو عندك عذر، دع ما يسبق إلى القلوب إنكاره، شيء أول ما يرونه عليك ينكروه، دعه.
يعني مثلاً تذهبين عند أحد يصلح لك شعرك فالتى تصلح لك شعرك تقصه لك يذهب، ويصبح شكلك كأنك قاصة قصة ولد متشبهة يعني! فلما يرونك ينكرون عليك، الذي في الموقف سيأتي بمائة عذر، سبق إلى القلوب إنكاره، فعليك بتركه، كل شيء سيأتي لك بالكلام اتركه.

مثلاً هل صوت المرأة عورة؟ هذا فيه خلاف شديد عند أهل العلم والظاهر أن الصحيح أنه لا عورة مادام بدون تغنج أو لين إلى آخره، لكن لو قيل لي (ألقى بكلمة في الإذاعة) لو سمع صوتك بعض من يحترموك سيكون في قلبك حرج مع أنه من حيث الجواز يجوز، فأنت تتركينه لأنك تحتاجين ستين عذر لتوضحي للناس أنه يجوز وليس حرام، فدع ما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره.

(من لم يخلع عنه رداء الكبر ظل جاهلاً من ملهده إلى القبر)

تعلم من أي أحد أصغر منك أو أكبر منك، ولا تتكبر على الطلب والعلم، لا تقل هكذا عمري ولا أعرف أحكام الغسل وأحكام الوضوء.. المهم تعلم مهما كان حالك.

^١ لقمان: ٢٥

^٢ الكهف: ٦٧

(نرك الاعراض على الأكار محمود وكثرة الماء يورث الصدود)

الشيخ يدرك وأنت طول الوقت (لا يا أستاذ، أنا أترض على كذا!..). اسمع وألم العلم واترك المسألة تتخمر في عقلك، ثم بعد ذلك أظهر ما عندك، العجلة وكثرة الاعتراض لابد أن تورث الصدود، يصده عنك، مثلاً يأتي شخص يقول هذا الشيخ يعلم الطلاب، وهناك طالب طول الوقت معترض، يجد في نفسه حرج أن يناقشه، خصوصاً لو عرفت أحياناً كثيرة أنك تعترض على مسألة فيها مساحة، يعني هذا رأي وهذا رأي، لا تكون ممن يكثر الاعتراض، ولا يعني أنك تستسلم وأحد يقودك، لا، ليس هذا أبداً.

فعلى أماكن التعليم كلها أن ترفع هذة راية (نتعلم كيف نتعلم)، وليس أن يأتي شخص يعلمنا كل شيء ويقول كذا وكذا ونحن لا نرى إلا ما يقوله هو، لا، لكن يقول لك لنبحث في معنى الحديث (هذا الحديث ورد في صحيح البخاري وشرحه فتح الباري مثلاً فإقري الشروح وماذا يقول أهل العلم وماذا يقول خلافه، وماذا يقول رأيهم) تعلم كيف تتعلم، وفي نفس الوقت ليس بأن تكون مقوداً كأن أحد يمسكك ويقودك، ويتسع أفقك وما تكون كثير الاعتراض، هذا دائماً يحصل لما يكون طالب العلم ضيق في قدرته التفكيرية، كثرة الاعتراض يحصل لمن لا يعرف يفكر بشكل صحيح، قد لا يوجد إشكال ويكون قولي وقوله نفسها لكن بصورة مختلفة، لكن بسبب عدم معرفته التفكير .

ولهذا دائماً أوصي ولا زلت أوصي وأسأله الله أن يجعل هذه الوصية ميراث جيداً ينفعا لما نلقاه (على طلبة العلم أن يكونوا مكاتب خاصة في بيوتهم) وكذلك المعاهد والمراكز التعليمية، أهم مكان مكتبهم، فالكاتب هي التي تحمل الطلب ، والمعلمون فقط يسهلون لك الطلب .

(وطالب العلم بلا وقار كمتبغي في الماء جذوة نار)

طالب العلم بلا وقار كشخص في الماء يريد أن يشعل نار! كأنه لا أمل، مستحيل، نريد وقاراً من طالب العلم، لا نريد شخص خفيف.

الوقار يكون في الهيئة، وأسلوب الكلام، وليس بأن تكون طالب علم وصوتك يرتفع بالضحك! لا يليق بك، الحياة ما تستحق أن تكون بهذا الفرط، لابد أن يكون عندك وقار، لا تملأوا، أول ما تدخل الطلب يأتي الوقار، على الأقل في أماكن الطلب، تحلي تدخلي على طالب علم تجدينه يأكل لبانة، هل يليق! لا، ليس سلوكاً سليماً.

يقال لك ماهو الدليل على أنه لا يجوز؟! من قال أنه لا يجوز! نحن نتكلم عن الوقار، لابد أن يكون عندك الشيء الكثير من الوقار، ولهذا لا تقضي وقتاً كثيراً في التجمّل وأنت ذاهبة للطلب، لست ذاهبة إلى سهرة، وهذا لا يعني أنك تذهبي بدون أن تمشطي شعرك! لابد أن يكون في شيء من التوازن، هات بالحد الأدنى في كل شيء.

الوقار شيء مهم جداً يا طلاب العلم، سيدخل في القلوب كلما دخل العلم، فإذا دخل العلم في مكانه ستجد الوقار، طالب العلم بلا وقار كمتبغي في الماء جذوة نار، لا يجتمعان أبداً.

(من لزم التواضع والانكسار ، فتح له بذلك وطار كل مطار)

ذكرنا هذا فيما مضى، أي لما تنكسر وتواضع وتكون لله، سيرفع الله من شأنك، لكن تتكبر وتجري وراء أهل الدنيا ستذهب الدنيا.

(من أوسع أوديت الباطل الغلو في الأفاضل)

هذه مشكلة نحن نعانيها بالذات عند النساء، يحدث عندهم غلو وتعصب لشيختهم، لمعهدهم، لا بد أن تتفكك نفوسكم عن ذلك، المسألة تحتاج إلى توازن، أي لا تغلو تجاهه ولا تفقد ولاءك له مهما كان، شيخك له حق عليك لكن لا يصل لحد الغلو. أكثر ما يتعب طلبة العلم بالذات من النساء أن تحصل عندهم حالة من التعلق والتعصب فيقال (مكاننا أفضل، وكل مكان غيره لا يساوي شيئاً!) نقول: (مكاننا وكل مكان يعلم على المنهج الصحيح نمده ونتعاون معه) لا تتعصبوا تجاه شخص ولا تجاه اسم، لأن التعصب والغلو يفقد طالب العلم نفعه، المفروض كل مكان فيه طالب علم وفيه علم تعني به، تقولين (تناسبني طريقة معينة في الطرح يناسبني طريقة معينة في النقاش) هذا كلام آخر، يعني لو كان يناسبك طريقة معينة في الطرح وطريقة معينة في النقاش معناه الذي سيستعمل هذه الطريقة مستقبله، وكل واحد يستعمل هذه الطريقة مستقبله وليس واحداً، لكن لما تذهب مشاعرك لشخص واحد غلوا معناه أن لا تقبلي من غيره شيء، وهذا فرق بين المحبة الطبيعية، فمن الطبيعي أن يحب الإنسان شيخه وهذا أصلاً دليل الإنسانية، لكن فرق بين الحب والغلو. (معهد) هذه الكلمة بنفسها فيها مشاعر، يعني هذا المعهد المكان الذي يربو فيه "يتربى"، نعم لا بد من المشاعر، لكن المشاعر لا تعني التعصب، هذه أحد الأخطار الشديدة التي يعانها طلبة العلم، تأتي الآن بالعكس:

(من لم يصبر على جفاء أستاذه تجرع أحساراً بتصدع ملاذه)

يحصل أن يبتلى بعض طلبة العلم بأن أستاذهم يجفو عليهم، يريد أن يؤدبه مثلاً، أو أحياناً يجفو عليهم دون أن يقصد بسبب انشغاله، فالطالب يأتي في خياله أن الشيخ جفا أو تجاهله، تصور أنه ما يكلمك أو قلت له عندي سؤال، فقال ليس وقته الآن، أو قال لن أرد، فتقول (هؤلاء يرون أنفسهم على الطلبة!.. وسأنصرف عن الطلب بسببهم) لا بد من الصبر، هذه من البلاءات، الإنسان الذي يكون بهذه الصورة شديد الحساسية هم أكثر الناس الذين يتعرضون لمواقف مثل هذه، يختبرهم الله عز وجل هل سيصبرون في الطلب أو لو تكلم معهم شخص كلام يتركوه!؟

(ننكب في الخصومات حظ نفسك ، واقهر هواك بإنصاف خصمك)

يقصد بالخصومات في الطلب أنه يحصل نقاشات ورأي ورد فلا تذهب فتنتصر لرأيك، اقهر هواك وانصف من يعاملك، أحياناً يظهر لك دليل صحة كلامه، تتجاهل الدليل لأجل هواك! لا تجري وراءه بالكتاب وتقول له: انظر انظر! لا.

فاجعل الخصومة تبرد أولاً؛ لأن نظرك لهذا الكتاب ليس قرينة إلى الله، إنما انتصار لخصومة النفس، المسألة ليست سهلة، أنت من وقت تدخل إلى أن تخرج وأنت عابد، كأنك تصلي..

لا بد أن نوقظ نفسنا حتى لا نفعل شيئاً إلا ونحن على طهارة القلب، فكما تصلي على طهارة البدن اطلب العلم على طهارة القلب.

أسأل الله أن يسدّدكم، ويفتح عليكم، ويجعلها سنة مباركة عليكم، ويفتح قلوبكم للطلب، وييسّر لكم من يعلمكم وينفعكم، اللهم آمين.

والحمد لله رب العالمين..